سردية الصحراء: نحو إعادة تشكيل التجربة السردية من منظور "إبراهيم الكوني"

Desert Storytelling: Reshaping the Narrative Experience from the perspective of "Ibrahim al- Kany"

بلال كوسة *

جامعة سطيف2 -الجزائر billalkoussa2020@gmail.com

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2019-10-02	2020-02-04	2021-06-02

ملخّص: لعلّ ما ركّزت عليه النّصوص الروائية المعاصرة؛ لاسيما في ثقافتنا العربية، هو هذا المتخيّل المغاير/ المختلف للنّماذج المثالية الكلاسيكية المرتبطة بالمؤسسة الأدبية من خلال اِهتمامه بجملة القضايا التي ترتبط بالمعيش الإنساني، والمعاناة التي يحياها هذا الأخير في ظلّ التّغيرات التي طرأت على الحضارة الإنسانية، وهي جملة من التطوّرات التي أرهقت كاهله خصوصا بعد اِنهيار السرديات الكبرى، وظهور تباشير الفلسفات العدمية التي خلخلت أوهام المركزيات، ومن ثمّة الانتقال نحو الحيرة، والاضطراب، والصمت، وكذا قلق الهوية، والمصير المجهول الذي جعل منه كائنا تائها في عالمه، ولكنّه في المقابل يبتغي الخلاص.

لذلك ينهض المتخيّل السردي عند "إبراهيم الكوني" على جملة من الأحداث، تحيل على وقائع متخيّلة، مفارقة للواقع الحقيقي، من خلال بعثها على الدهشة والغرابة؛ لاسيما وقد كتب نصوصه في بيئة المنفى الاختياري المخالف للصحراء، ذلك الفضاء الذي يجد فيه المهاجر سعة لمواكبة المشاهد والصور، واِختراق وتجاوز حدود اللّغة الموروثة، بحيث يضع "الكوني" مسافة بينه وبين هذا المكان الذي عاش فيه صغيرا، واِرتحل عنه بعد ذلك، كما يصبح قارئا اِفتراضيا أوليا لهذا الفضاء.

---

* المؤلف المرسل

كلمات مفتاحيّة: الحكي؛ الصحراء؛ التخييل؛ الرجل الأزرق.

Abstract: Perhaps what contemporary narrative texts have focused on, especially, in our Arab culture, is the different imagination of the classical ideals associated with the literary institution through an interest in a number of issues that are relate to human civilization.

Experiencing in light of the changes that have taken place in human civilization. These are a set of developments that have burdened them, especially after the collapse of the great narratives, and the emergence of the signs of nihilistic philosophies that created the illusions of centralism, and then the transition towards confusion and unrest, silence, as well as the anxiety of identity, and the unknown destiny that made the storyteller a strange being in his world seeking salvation.

Therefore, the narrative imagination of Ibrahim al- Kony rises on a number of events, referring to imagined facts, a paradox of real reality, through its search for astonishment and strangeness, especially as he wrote his texts in the environment of optional exile contrary to the desert, a space in which the immigrant finds the capacity to keep up with the scenes and images, and penetrate and exceed the limits of the inherited language, so that the "cosmic" puts a distance between him and this place where he lived small, and then he moved away from it, as a virtual reader of this space.

Keywords: Talking; Desert; Imagination; Man.

1- سـردية الصـحراء: يتصـوّر الباحث الألماني "فريديريك نيتشـه"" Friedrich Nietzsche"(1844- 1900) في كتابه "أفول الأصـنام"، أنّ عالم الحقيقة أضـحى حكاية مرتبطة بالأوهام، والمحاكاة الزائفة، ولهذا ربطها بصـــورة المرأة في تفلّتها، وتمنّعها، «فليس اِختفاء عالم الحقيقة حلولا للعالم الواقعي الذي تتحدث عنه الوضعية، إنه على العكس من ذلك، اِنهيار للازدواجية ذاتها، للتقابل بين الحقيقة والمظهر، بين الواقع والخيال، ليصبح الخيال واقعا وعالم الحقيقة حكاية، أي شيء يُروى ولا يوجد إلا في السـرد وبه»[1]، وهذا المتخيّل أضـحى حاملا للواقع بواسـطة اللّغة التي هي مأوى حقيقة الوجود كما تكلم "مارتن هايدغر""Martin Heidegger"(1889- 1976)،

ولكن هذه المرة تخضـــع اللّغة للخيانة العظمى أو للمحاكاة الزائفة المرتبطة بالإيهام Le simulacre في إطار ما يسمى بـــــ "المتخيّل الأدبي"، فـــ «هذا التحول الذي عرفته الفلسفة يذكرنا بطبيعة الحال، بتحول مشابه عرفه الأدب نفسه الذي أصبح هو أيضا اِستراتيجية لمراوغة اللغة وخيانتها»[2].

ويعدّ المتخيّل خطابا عن الواقع[3] اليومي، ولكن يتم ترهينه بشكل مغاير، حيث يحتوي النّص المحكي على مجموعة من الأمكنة الخيالية، والتي تعبر عن مكان واحد، وهو الصحراء في مظاهرها، وصورها، ورؤاها المختلفة لكل أشكال المدَنية، وبذلك «هذا البعد يكون مدخلا آخر للبحث في طبيعة المتخيل. وهو المدخل السيميائي السيميوطيقي. الذي يعرف المتخيل بأنّه مجموعة من العلامات والمتخيل هنا يكون مرادفا لمفهوم النص ومفهوم الخطاب»[4]، ويتميز المتخيّل عن الواقع بِاعتماده على الغرابة، والخروج بالكلام عن العادة على حد قول "ابن رشد"[5]، خصوصا والغرابة هي الطريق إلى الألفة والتآلف كونها جزءا لا يتجزأ من الألفة، «إنّه الخروج عن الحضور والتطابق والهوية نحو ما هو مخالف، نحو الغريب الذي لا هوية تحده وتحدده، ونحو الرحالة وعابر السبيل الذي يعيش في الهامش على حدود الفضاء (إلى حد أنه ربما يكون من المتعذر أن نتحدث عن الفضاء الغريب، لأن الغرابة لا فضاء لها (atopique)»[6].

وعليه، كيف يتسنى لنا خلق عالم ينبض بالحياة والتجديد، في ظل واقع تسكنه المتناقضات بين سلطة الحياة، ورهبة الموت، حيث الشخصيات تستأنس بالفراغ، ولهذا كانت "الصحراء" في كتابات "إبراهيم الكوني" حاملة للواقع في صوره المتعددة، ونحو عالم يتم الهرب إليه، لأنّها تمثل النقاء الذي يرتبط في المخيال الإنساني بشخص

"هابيل"، واصفا إياها على أنّها جحيم وفردوس في آن، أو كما نعتها بهذه المعبودة القاسية والعنيدة، فهو يمجد الطبيعة الصحراوية، ويُدين بالمقابل الحضارة العمرانية المعاصرة، «وبالتالي فإنّ فضاء الصحراء عند الكوني، يغدو فلسفة قائمة بذاتها، تقوم على تطهير الذات من أخطاء قد ترتكب في فضاء المدينة، وهي الثنائية التي اِنبنت عيها الرواية منذ بدايتها»[7]، حيث يقودنا الراوي إلى معالم الصحراء، وناسها، وحركتها، وروح الحياة فيها، ولذلك تلخصت كتابات "إبراهيم الكوني" في مجملها حول عالم الصحراء الصامت، لاسيما إذا كان، والقول له:[8]

"فتنة البحر – الصوت !

فتنة الصحراء – الصمت !".

هذا المتخيّل يعتمد اللّغة أساسا لتحقيق ما يرومه، لأنّها تخلق ناموسها الخاص الذي يعطي لها إمكانية تنظيم محتوياتها ومكوناتها، «وحين يأتي المتخيل ليتحول في اللغة إلى ممكن وحقيقي وملموس، فيرفع الواقعي إلى رغباته، ويحيل اللغة إلى مستودع للأسرار والرغبات التي تعبر عن نفسها بلغة العادي؛ عندها نكون أمام شاعرية من نسب آخر، شاعرية نثر الحياة في إطلاق النثر إلى تخومه الأخيرة، في مزج الكلام بالحلم وتحويله إلى لغة لا حدود لها، إلى لغة مليئة باللاوعي، إلى جنس هو الممارسة اليومية كما يحياها الناس»[9].

والمتتبع لكتابات "إبراهيم الكوني" في مجملها يجد أنّها تعالج قضايا إنسانية متعددة تستعمل فيها رمزية المكان[10] – الصحراء– لتعبّر عن المشاكل التي يعاني منها الإنسان، وما آل إليه تفكيره، حيث عمل الكاتب على تحديد أبعاد ومؤشرات المكان

لبناء متخيّل الصحراء، كفضاء مهمل وهامشي يأوي الرجال الزرق/ الطوارق/ الغرباء كما وصفهم المتن السردي عند "الكوني"، ولهذا أراد هذا الأخير أن يكتب سردية جديدة للصحراء؛ هذا الوطن المجهول الذي ينحدر منه، وذلك اِنطلاقا من قراءة الظواهر العائمة في فضاء المعيش الصحراوي، ولكن هذه المرة اِنطلاقا من رؤية وجودية/ جمالية تتناول قضايا عديدة، بحيث تكون البيئة الصحراوية محطا للاهتمام من خلال مساءلة ما سكت عنه هذا الوجود الغريب، وكيف لا والقول له، إنّ «الصحراء – أكاديمية العلوم الغيبية»[11].

وقد اِستعان بالتمثيل السردي لقضايا فكرية، وإنسانية، ووجودية ظلت غائرة ومتوارية خلف المجهول، والتي هي عبارة عن ملفات مغلقة تحتاج للمساءلة من جديد، كالرحلة، والموت، والفقد، وغيرها من القضايا الأنثروبولوجية بغية اِستكناه جوانبها الخيالية والجمالية، وذلك بالاعتماد على ما جادت به الدراسات الإنسانية، لأنّ جلّ الكتابات الروائية، والتصوّرات النقدية دارت حول المحكي المديني مهملة فضاء هو الآخر أكثر رحابة، ولا يقل أهمية عن المحكي الأول هو المحكي الصحراوي، ولهذا جاءت محاولة "الكوني" لفتح هذه الملفات المغلقة في فضاء الصحراء، وإعادة وصف هذا الكائن في فضائه المعيش أو المفقود.

كما أنّ المتتبع للكتابة المهتمة بالبيئة الصحراوية يجد أنّها قد أوجدت أدوات من داخلها، حيث تستعين بها في تشييد عالمها، وتأثيث سردها، وذلك في ظل ما ورد إليها من أفكار، وما تفجّر منها من وعي متاح للروائيين، وما رافق هذه الكتابة من تغيرات في بنية الكتابة السردية المغايرة للفضاء المديني، والذي يختلف كل الاختلاف عن الفضاء الصحراوي، وذلك في شكل وموضوع السرود المنبثقة منه، والملاحظ أنّه

«لا تكتفي الرواية الصحراوية بأن تغترب عن طبيعة السرد الروائي المديني وحسب، ولكنها تأبى إلا أن تبدو معادية لنظرية الرواية أصلا. وهو عداء مستعار من طبيعة العلاقة الملتبسة القائمة منذ اِنقسم المجتمع البشري إلى قطبين اثنين: قطب راحل، وآخر مقيم، بما أفرزته العلاقة عبر تاريخ درامي معقّد وذي سجيّة جدليّة يتحوّل أضدادا في جلّ بنوده»[12].

و"الكوني" هاهنا؛ اِتخذ من مقولة "الصحراء" ملاذا تتكتب من خلالها اِبداعاته، مؤثثا بها سرده، وجاعلا منها أداة فنية وجمالية للتعبير والحكي، «حيث كان الأساس النفعي للجمال ظاهرا فيما قدمته الصحراء لساكنيها ولمحبي التأمل والتفكر من حرية وعزلة وخلاص رغم شدتها، وظهر الأساس التعليمي في كون الصحراء أمّا للصحراويين علمتهم الحكمة والصبر وهي مهبط الرسالات. علمتهم أيضا الغناء الذي يعين الصحراوي على تحمل مشقة العيش فيها»[13]، ومن ثمّة اِرتبط عمله الروائي بعالم الصحراء، بما فيها من جفاء، وندرة، وقسوة، واِنفتاح على جوهر الكون، كما نجد أنّ الخيط الذي يَنظم رواياته هو العلاقة المِفصلية بين الإنسان والطبيعة الصحراوية، وعالمها الخاضع لمحنة القدر، فإنسان الصحراء كائن روحاني، وغير دنيوي، ومرتبط بالغرابة والزهد، ولهذا يسير بنا "الكوني" في فضاء غريب وأسطوري غير معهود حيث السماء هي السقف الواقي بعيدا عن صخب المدن، وسجن الجدران، لتكون الصحراء موطنا، وملاذا للهجرة والنبوّة.

يعمل الإنسان دائما على فهم مختلف الجوانب المحيطة به، وكذا تحقيق معرفة بالمجال الذي يعيش فيه، لاسيما ما تعلق بالظواهر الأنثروبولوجية المرتبطة بخصوصيات المكان، والذي تتجذر فيه هويته، وذلك بالعمل على تقنينها بتقديم

تخييلات متراوحة عنها، فالمحكي الصحراوي لا يحاكي هذه الماديات في الحضارة وفقط من خلال تتبع عيوبها، بل يعيد خلقها بصور أخرى، خصوصا إذا كان السؤال الإنساني في الصحراء هو سؤال الوجود، والمصير الغامض في المقام الأول، ومن ثمّة كان الخيال الصحراوي آلية من آليات الإبداع، والتي يستخدمها المبدع أو الفنان على مستويات عديدة منها: الشكل أو الصورة؛ فشرطه الأساسي المطلقية المتحررة من كل حاجز أو قيد، ولذا قوامه الحرية كقوة تمنح للإنسانية حق الابتكار والتجديد، ولجأ "إبراهيم الكوني" إلى خياله الواسع والخلاق لكي يعيش فيه بعيدا عن قسوة الواقع وسلطته، ولهذا كانت الكتابة عن الصحراء عنده مناقشة لقضايا التفكير والوجود الإنساني، فالإنسان أيّ إنسان يملك هذه الطاقة العجيبة التي تضع أمام عينه عوالم متعددة وخلّاقة، ولهذا كان الخيال الفاصل بين ما هو مجسّد وبين ما هو لا مرئي، والصحراء هي الحافظ للوجود والأصل البشري، لأنّها بداية الأصل ومنتهاه، فهي المعقل الأخير للإنسان كما يتصوّر "فرانسيسكو فوكو ياما"، ولهذا يقتضي الناموس الوجودي وجود الماكث المديني، والصحراوي المهاجر، وتتقدم الصحراء في نصوص "إبراهيم الكوني" في صورة من أهم علاماتها:[14]

– إن الصحراء نقيض المدينة: الأولى فضاء أسطوري روحي، والثانية فضاء واقعي مادي. على الرغم من أنّها في رواية "التبر" تطرد البطل "أوخيد" وجمله الأبلق، وتحكم عليهما بالتيه، والجنون، والموت.

– الصحراء فردوس، وواحة مفقودة، بيد أنّ الجنة مفقودة ولكنها موجودة، ولا يعثر عليها إلا التائهون، الذين فقدوا الأمل في النجاة.

لقد عمل "الكوني" على مدار كتاباته الروائية على فتح آفاق واسعة من التفكير، تعتني بعوالم "الصحراء" بما هي فضاء يتيح للكتاب تحقيق هذا المبتغى؛ إذ يكتب عنها بصفتها رمزا للوجود الإنساني، ولهذا ندب نفسه من أجل هذا الطموح المشروع، وهو تأسيس فلسفة للصحراء كمنتجع يرتحل إليه خيالا من خلال تتبع مسار الرجل الأزرق، أي الطارقي ورحلته التي تجسد روح هذا المكان في عالم سرمدي، ليكتب خيالاته ويجسّد أفكاره بالعودة إلى كل الرموز والأساطير التي ترتبط بهذه المنطقة، وهي حوض البحر الأبيض المتوسط، وذلك في وقت اِهتمت فيه الكتابة بالمركز ممثلا في الفضاء المديني، ومهملة ما يسمى الهامش أو الفضاء الصحراوي، ولهذا يندرج فعل الكتابة عن الصحراء في فضاء الكلمات لتكون ظلالا حاملة للحياة، حيث تتمكن ذات "الكوني" من بناء صورة عن أمكنتها، وهي أمكنة تنبثق من ذاكرة الراوي الذي عاصر حقبة من تاريخ هذا المكان.

فكتابات "الكوني" تتدرج في إطار البحث عن المكان الضائع بما هو دافع للرحلة نحو المجهول، والعمل على الظفر بخلاص للانتظار؛ إذ اِرتحل الرجل الأزرق، واِعتزل الناس، وراح هائما على وجهه يعيش لوحده في خلاء لا منته، بيد أنّ الرحلة لم تكن سهلة، بل هي قاسية طبيعيا لانعدام الماء، واِستفحال كل ما له صلة بالجفاف والجدب والقحط، فـ «الماء بالحضور، جسد، أي بعد في الوجود؛ ولكن الماء، بالاغتراب، بعد مفقود مثله في ذلك مثل الروح. والتحرّر من أغلال النبع بالفرار إلى ملكوت الحريّة يستعسر على مريد الترحال لأن النبع اِستجارة بالأرض، بالأمّ، تحصّن بالجرم المستعار من هوية الأرض. ... تستلقي الصحراء كفردوس جدرانه ملفّقة من عدم. جدران ملفقة من عدم بسبب غياب النبع»[15]، وهنا غياب الماء دلالة اللا مكان،

بالإضافة إلى العوائق البشرية والغيبية ممثلة في الإنس والجن، حيث يذكر السارد أنّ شخصية الشقي "مسّي" في رواية "من أنت أيها الملاك؟"، قد اِتخذت من الحلم، والأسطورة[16] سبيلا للرحلة في عالم الصحراء الشبحي، وهنا يقول الراوي:[17]

"غاب في دنياه فرأى هذه المرة الرؤى! رأى الأشباح على رغم أنه لم يغمض عينا، ولم تأخذه وسنة من نوم- لم ير الأشباح فحسب، ولكنه صارع الغيلان. تحولت جلساته على أريكة الانتظار كابوسا مميتا لو لم يهرع لنجدته في أحد الأيام قرينه في الانتظار موسى".

ولهذا يذكر "الكوني" في روايته "من أنت أيها الملاك؟" ذلك الطابع السديمي للصحراء بما يرمز إليه هذا العالم من ندرة، وأسر، واِنفتاح على جوهر الكون والوجود من خلال ذكره لأمكنة خيالية ووهمية محكومة بالحتمية، كالدهاليز، والأقبية التي صنعتها غيبوبة الانتظار؛ إذ لا يمكن الحديث عن الشخصية الروائية المتخيلة دون الحديث عن المكان الذي تتحرك فيه، «ومن خصائص المتخيل المختلف في السرد الروائي (وغيره) الأمكنة المميزة بالانغلاق غالبا، والضيق والعتمة والصخب والتواري في الخلف بعيدا عن الأضواء كالحانات والمقاهي والأقبية والفنادق الرخيصة والشقق والشوارع الخلفية والممرات الجانبية ... إنها أمكنة خصوصية محجوبة وراء ظلمة الليل أو وراء الستائر الحريرية خلف الأسوار العالية المحروسة كالبنايات الفخمة المعزولة عن الحياة العامة أو التجمعات السكنية الشعبية الفقيرة (لا فرق هنا بين الأحياء الفقيرة والأحياء الراقية مادام ما يمارس خلف أسوارها يدل على الانحطاط والتدني)»[18].

ولذلك في لقاء الشقي "مسي" مع القرين "موسى"، صوّر الحكي ذلك الأثر الذي تركه الانتظار في نفسية "مسّي"، ما قاده إلى التيه في شكل غيبوبة، وهنا يقول الراوي:[19]

"كان الرجل يختلس نحوه نظرات خفية طوال الوقت، ولكنه لم يستجب لنظراته بسبب الغيبوبة؛ فقد قادته تجربته الطويلة مع الانتظار إلى المجهول دون أن يدري".

وعطفا على ما ذُكر، تعد الكتابة عن الصحراء مغامرة نحو التيه، فهذا الخلاء العجيب الممتد الذي لما نتحدث عنه نتحدث عن غربة المكان، ونضطرّ حتما إلى الحديث عن غربة الذات، «وهي لهذا السبب ليست معنية بوجودها، ولا خطر عليها من زوال تحدثه أسلحة دمار شامل، لأن فرار الأمة من المكان ليس دليلا على عشق لحرية أو هوسا للقاء الله، ولكنه برهان على غياب من ربوع المكان، ويقين بالحضور في بعد مفقود يقع خارج كلّ مكان !»[20]، ويتخذ المكان بعدا آخر حين تنتقل الشخصية من فضاء الأمكنة المفتوحة إلى الأماكن المغلقة والمأساوية في آن مثل الدهاليز والأقبية، والمدينة، وهي تعبر عن هوية وطيف المكان الذي يبعث على المجهول، إذ والقول لـ "الكوني": «أما الإحساس المجهول الذي عشته لحظة مشاهدتي لعالم تلك المدينة ولم يكتب لي أن أنساه هو يقيني بأنّي أحيا تجربة سبق لي أن عشتها يوما. تجربة منسية كأنّها حلم، ولكنها برغم ذلك يقين، برغم أني أحياها للمرة الأولى»[21].

ترتبط هذه الرحلة بالأحلام، لأنّ الحياة في الصحراء هي تجربة نحو التيه، والانتظار الطويل الذي هو عين الشقاء، بحيث تكون الذاكرة شاردة في مطلق الأحيان، بسبب العزلة التي هي السمة الطاغية على فضاء الصحراء، أو الغيبوبة داخل هذا الوطن المفقود، وهنا يقول الراوي:[22]

"لا ينكر أنّه روّض نفسه عليها طويلا مستنجدا بوصايا أمّه الكبرى، الصحراء؛ لأن الحياة في ذلك الوطن المفقود ليست سوى انتظار طويل، بل انتظار أبدي لا يضع لأبديته نهاية إلا النهاية الطبيعية التي هي الموت".

ومن المهم بمكان أن نبرز علاقة الهوية بالمكان أو بشبه المكان، على أنّ الصحراء شبه للمكان، فكل شيء موجود في الصحراء ولكنه متمنّع، ففي الصحراء يوجد كل شيء، ولا شيء يوجد، وبالضبط علاقة المهاجر أو المنفي بالأمكنة التي يقيم فيها أو التي يحط فيها الرحّال هي علاقة مضطربة يسودها التوتر أو الغياب، أو الهجران كشبهين للمكان، لأنّ ما يسودهما هو الاضطراب في المكان، ولذلك فهما يجسدان تجربة التيه، والتسكّع الذي هو نتاج العلاقة المضطربة بالمكان، فالتسكّع يجسّد التوتر في المكان؛ إذ هناك اِحساس بالغربة والغرابة عن المكان الجديد، وآلام الفراق وشجن الرحيل للمكان القديم، فالغياب طال الصحراء ذاتها لأنّها شبه للمكان أو هي اللامكان، ولهذا يحاول الطارقي التعويض بالبحث عن الفردوس المنتظر، أو عن "واو" السماء التي هي بخلاف "واو" الأرض، وهذا لا يتحقق إلا بفضل السرد الذي يستطيع المهاجر أن يحقق من خلاله كيانه في المكان، والكيان يتحقق من خلال سكنى اللغة، فهو يخلق عوالم بديلة تأمنه شّر الانتهاء، وهو صنيع "شهرزاد" في الليالي؛ إذ حكت تماسفا مع الموت، وفي حكيها الحياة التي لا تنتهي؛ وهذا الحكي يحررها من الحضور في المكان، ويضمن لها الحضور في الحكي، «فالحكي الذي تتولى شهرزاد مأموريته، والذي يتحدد كمحكي مؤطر، يتولد من رغبتها في الحياة ومحاولتها تفادي الموت الذي يهددها في الحكاية – الإطار– ويمكن أن نحدد المبدأ الناظم للحكي هنا في الحكي مقابل الحياة»[23].

تبقى الصحراء عند "الكوني " فضاء روحيا، وتاريخيا، وأسطوريا، وفنيا تتحاكم إليها كتاباته، ولهذا نجده يلجأ إلى اللغة مكانا للإقامة؛ لاسيما واللغة سكنى الأغيار، ولهذا «كتب "ثيودور أدورنو ""theodor adorno" 1903. 1969. "إن الإنسان الذي

لم يعد له وطن، يتّخذ من الكتابة وطنا يقيم فيه". فلهذه الجملة دلالة عميقة تلخّص تصوّر المنفي أو المهاجر لمعنى غياب الوطن، لا كتجربة سلبية تفضي إلى حالة من الاستسلام أو الحزن أو كتجربة مأساوية تسيطر على حركة الإنسان، بل هي تجربة ثرية، تجعل الإنسان يحتمي باللغة التي تغدو هي المكان الوجودي الذي يضمن له الاستقرار، ومن خلال اللغة والكتابة والابداع يتسع أفق المكان /الوطن ليصير جزءا من مفهوم أوسع للإقامة، حيث الأوطان كما يقول أدورنو نفسه مجرد سجون كبيرة في حين أن الكتابة والتخييل يمكنان الإنسان من التحرر من سجن الأوطان»[24].

كما تعد الصحراء جنة موعودة عند الطوارق، والحنين إلى ذلك الفردوس المفقود أو المبحوث عنه يسكن قلب كل إنسان لازم الصحراء، حيث يحاول في رحلته اللامنتهية أن يسبر أغوارها، ويكشف مكنوناتها، أي بصيغة أخرى يبحث داخلها عن الحقيقة، ولذلك «إن الصحراء هي المكان الوحيد الذي يستطيع أن يروض العقل، ويقمع روح الطلب، ويحد من طغيان الإرادة؛ إرادة الحرية، إرادة الحياة، علّ الخفاء يقدر أن يحقق الأعجوبة، ويشبع نهم الشقي الذي اِستبدل التسليم بشقاء العقل، وقايض هناء الفردوس بجحيم المعرفة»[25].

ومن ثمّة فالبحث في هذا العالم المفقود بحث غير يسير، يلحّ على المترحل التسلّح بأدوات وآليات كاشفة للحجب، والحقائق الغامضة، والتي تكتنف نصوص "الكوني" المكثفة ثقافيا، والتي يختلط فيها الواقع بالخيال، والأسطورة بالعقل، والحضور بالغياب، والوجود بالضياع، والحياة بالموت، في فضاء غرائبي تحمله اللّغة[26] التي جعلها موطنا وسكنا للإقامة، والاستقرار في ظل غياب البيت والسكن، ولذا في الصحراء بقدر ما نرى الوضوح نرى العتمة، وهنا تنفتح ذات "الكوني" على الرؤية السردية للعالم

من أجل تجاوز الاغتراب، وذلك بالاعتماد على التأويل، لذا «إن المهمة الأساسية للهيرمينوطيقا -كما نوهنا من قبل- هي تجاوز اغتراب الوعي الانساني، سواء كان موضوع هذا الوعي هو الفن أو الدين أو التاريخ، أو أي ظاهرة إنسانية أخرى تحتاج إلى الفهم والتفسير لتصبح مألوفة في عالمنا»[27].

لذلك فالصحراء هي مقام الأقاصي؛ هي غربة وارتحال، أو قُل اِفتعال للغربة التي هي عنوان الهجرة، وهي حدود على أطرافها يمكن أن نتدبر من المعاني ما نتدبر، من القصص والمحكيات الدالة على هذا الوطن المفقود في الأشعار، والرموز، والأساطير، والتراتيل، بالإضافة إلى لوحات الرسامين، وكتابات الروائيين، إلى تأملات الأدباء والمفكرين، وقد أدركوا عندها مقام التساؤل والحيرة، أقوى وأرفع مقام العارفين؛ إذ تشير كلمة Désert في اللغة الفرنسية إلى صحراء، أو بيداء، أو يباب، أو مكان خاو، كما قد تشير كذلك إلى قفر مرتبط بعدم أو عزلة، فـ «من الناحية القاموسية، تدل كلمة Désert على مكان محدد جغرافيا، ببيئة قاسية من طبيعة رملية أو صخرية، كما يدل في المستوى الدلالي المعجمي والاستعمالي الشامل على مكان مهجور وغير مسكون. يضرب به مثلا في اللغة الفرنسية على الفراغ واللاجدوى والتيه وانعدام المنفعة والموعظة: Précher dans le désert , c'est parler en vain وتقابله في اللغة العربية المقولة المشهورة: إن .... كصيحة في فلاة»[28].

فالصحراء هي هذا السر الخالد، إنّه عالم آخر مختلف تماما عن العالم الذي نعرفه، حيث تسكنها أقلية منفصلة تماما عن المجتمع الذي نعايشه بحكم العادات، والتقاليد، والأعراف، ولهذا إنّ مساءلة ظاهرة الصحراء، هي في البدء مساءلة للفعل Déserter المرتبط بالهرب والمغادرة، وهجرة المكان/ البيت، كما أنّ Déserteur هي

كل هارب وفار من الحرب أو قضية ما، أما الصفة Déserticole فتعني ساكن القفار، أما Désertique فتعني منطقة مقفرة أو مكان صحراوي مجدب وقاحل، ولهذا فمساءلة هذا المكان هو مساءلة للذات التي هي صنيعه، كما أنّها تعني كل آخرية وغرائبية، فالصحراء هي هذا الآخر المرتبط بالغيبي والغرائبي، و«لذلك فإن هيدغر كان قد ربط وجود الإنسان بتساؤله حول هذا الوجود والكينونة، وكأن وجود الإنسان لا يبلغ مشروعيته إلا إذا وضع في مستوى معاناة الكينونة ذاتها»[29].

وعليه، تتكلم الصحراء صمتا، أي تمتهن لغة الصمت، والضياع، والتيه، فهي رمز التائه، والضائع في البرية، خاصة إذا كانت الكتابة عن الصحراء بقلم الرجل الأزرق /الطارقي /الصحراوي نفسه، وبحسب اِيديولوجيته التي تعمل جاهدة على كتابة زمنية الصحراء؛ إذ تحكي وسط الهجير صورة الصحراء والضياع، حيث تروي حياة البدو وصراعهم مع الرمال والظمأ، ولكن هذه الزمنية المقفرة تتوقف، ويعمّ الصمت، ويبدأ زمن الحكي المرتبط بالوصف والخيال، فالصحراء عنوان الغرابة، والترحال، والبؤس والدهشة، فهي تمثل قسوة في الطبيعة، واِنكسارا نفسيا وجسديا، حيث الرجل الأزرق يطل من خلف سياج وقناع، يخفي كل شيء إلا عينيه التي تطلّ من خلف شاشات لامتناهية، و«بهذه الطرق المتنوعة يحيل زمن العالم على زمن مّا معيش، زمن لا يسمح مع ذلك بتمثيله إلا بالتعبير عن النفس فيه بالكلام»[30].

لقد اِختار الطارقي الرحلة في الصحراء كفضاء مغاير، ولكن في اِنفتاحه على الآخر في المدينة، كبعد مغاير للأنا، وهو مهم لتتعرف فيه الذات على وجودها، و«هكذا، تصبح الصحراء مرتعا لنبذ التحجب الذي يفرضه الاجتماع ومكانا للخروج

من غوغائية التواصل وبديلا عن إعمال العقل والمعرفة من أجل استجلاب مشاكل، يكون الإنسان في غنى عنها»[31].

ولهذا تعدّ الصحراء مكانا طيفيا يسكنه الغياب، ما دفع إلى الهجرة لاكتشاف الآخر لأنّ البقاء في نقطة واحدة يعني الموت، ولهذا كانت الصحراء عنوانا للرحلة واللا اِستقرار، فالحياة في الصحراء هي حياة العراء، «والفضاء الأرضي، بما هو مكان مشروط بوجود عنصر مفقود في هذا الفضاء الأرضي وهو: الماء، غياب يفقد المكان بعد الواقع، ويصيّره فضاء طاردا محولا هذا الواقع إلى لا واقع، إلى الحدّ الذي نستطيع أن نقول فيه إنّ واقع المهاجر هو واقع غيبيّ !»[32]، حيث يعيش الطارقي غربتين غربة الوطن، وغربة الثقافة والانتماء، فتبدو وكأنّها تتجه نحو مصير حتمي قوامه الخوف والضياع، وسط موت يتربص ويترصد، وهمّ الإنسان هو المداومة على الكفاح للبقاء على قيد الحياة، وهنا يقول "الكوني":[33]

"الماء، في جدل الحياة والموت، وسيط:

بالتبدي الماء نصير حياة واستخفاف بالموت.

بالتبدّد – الماء حميم موت ونصير حياة".

ومن ثمّة كانت الصحراء موتا للصدى حيث الحلم فيها بعيد المنال، فهي فراغ /خلاء /سرمد /عراء / متاهة، لا حدود ولا نهاية لها؛ فإنسان الصحراء محاوره الصامت هو الفراغ الذي تسبح الكائنات فيه كسراب متماه في أفق الفضاء، ويتبدى السرب ويتبدد الزؤان هنيهة في صعوده وهبوطه، وفي تكاسله اللامتناهي، و«يبدأ سرب الزؤان في التشتت. يتقلب في الفراغ، يهوي إلى الأسافل مسافة، ثم لا يلبث أن يتراجع ويرتفع إلى الأعالي، يتلوّى، يبتهج بحلول الغسق، يلاعب فيض الغسق، يحلّ في الغسق، ويحلّ

فيه الغسق، فيتفضّأ الفضاء وتخلو ساحة الفراغ، وتفتقد العين لعبة اللّهو، يحلّ في الظّلّ اكتئاب، وينتحب الفراغ حزنا»[34]، فالراكض في الصحراء هو هذا السائر الجريح كالماشي وراء السراب بسرعة على غرار الضال الذي يجري تحت وطأة العطش دون بلوغ مرامه، فما تحيل إليه مفردة العطش هو نوع من "النقص" الذي عبر عنه جاك لاكان، والذي هو إرجاء مستمر للامتلاء والتروي، فأيها الراكض الحافي توقف قد أضللت الطريق؛ إذ هي قدرة خارقة، وفراغ سرمدي لا يعطيك أسراره إلا بعد مماطلة منه، فـ «السفر هو أسمى تجليات النص الصوفي لأنّه اِرتحال دائم نحو ما يشبع الرغبة بكوجيتو النقص والغياب»[35].

أضف إلى هذا نجد أنّ العربي يتوجس خيفة من إعطاء هويته للآخرين، وهذا حال الصحراء التي يسكنها أو اِسمه الذي يبقى بلا اِسم، فهو دائما يحبّذ الخفاء، أو هو دائما آخر لأنّه سر، حيث يرفض المعهود والعادي لأنّه يمثل الرتابة والنمطية، وبالتالي هو ينشد الاختلاف دائما، وهذا حال المكان /الصحراء التي تبقى جنة موعودة ولو بعد حين، وهنا يقول الراوي:[36]

"يشتدّ إغواء الخلاء، وتعد الصحراء بميعاد جديد. بميعاد خالد، ولد يوم ولد العابر، وجد يوم وجد العابر، ولكن العابر يمضي، العابر يعبر، ويبقى الوعد، يبقى الإغواء الخالد، إيماء الميعاد المستحيل، الذي وجد كفخّ عظيم، يسوق العابرين إلى الصحراء، إلى الحياة، ملوحّا بالوعد، واعدا بالواحة، بالميعاد الذي لا يدرك".

فحياة الإنسان في فضاء الحكي الصحراوي حياة لا ماض لها ولا مستقبل، أو قُل مصائر من غير ذاكرة، ورحلة وليست اِستيطانا، فدربها الطريق وليس الموقع، ومكانها الهنا والهناك، أو هجران لا بداية ولا نهاية له؛ إذ "في البدء كان الهجران"،

فهي هجرة من مكان إلى مكان، ومن عالم إلى عالم بديل، وهروب من فضاء إلى فضاء دون مكوث، وهنا يقول الراوي:[37]

"بعدما جرى الزمان كما جرى من قبل، ..، فتململت القبيلة وتهيأت لتبديل مكان أقامت فيه أكثر مما ينبغي، لأن الحكماء رأوا في الاستقرار خيانة للعهد القديم، وقالوا: إن الرجال إذا أقاموا في المكان طويلا صاروا عبيدا للمكان مثل أهل الواحات".

والملاحظ أنّ "الكوني" اِختار الصحراء مكانا تجري فيه أحداث جلّ رواياته، حيث يحتل المكان مكانة هامة في تحديد معنى المقول النّصي، وهنا اِختار الكلام عن الأمكنة المغلقة، والدامسة، والحالكة العتمة: كالأقبية، والدهاليز، أما الزمن فهو زمن واهي مرتبط بزمن "الحلم والانتظار" لشيء مأمول، ومرجأ إلى حين، كما في رواية "من أنت أيها الملاك؟"، حيث قال "مسي" بصوت نمّ عن نفاذ الصبر، في قول الراوي:[38]

"- إذا كنت أستطيع أن أنتظر إلى الأبد في هذا المعتقل، فهل تظنّ أن بوسع الإنسان الذي ينتظر ميلاده الثاني أن ينتظر أكثر ممّا اِنتظر؟".

2- **متخيل الصحراء:** شهدت الرواية العربية اِهتماما بفضاءات مغايرة للمدينة، كالصحراء مثلا؛ هذا الفضاء المهمل والمهمش في البداية نتج عنه ما يسمى: ب "متخيّل الصحراء"، وهذا الاهتمام جعل موضوع الصحراء مدار الحكي، حيث تم الالتفات إليه لغناه بأبعاد رمزية تخدم القضايا الإنسانية في شتى مناحيها، «واِهتم بهذا النوع من الكتابة الجديدة مجموعة من الروائيين كانوا قد اِنتبهوا إلى خصوصية المكان لا بوصفه عنصرا من عناصر البناء الروائي فقط، لكن بوصفه عنصرا جماليا سيسهم في إكساب الرواية والفكرة التي تقوم عليها أبعادا فنية، تزيد من قيمة الرواية وأهميتها»[39].

وتتحاكم هذه الدراسة إلى قضية جوهرية ترتبط بالمحكي الصّحراوي عند "إبراهيم الكوني" بغية تشييد سّردية هذا الفضاء السّرمدي، وذلك بالاعتماد على التّصوير السّردي الذي يتضمّن إعادة صياغة هذه التّجربة الزّمنية في الوجود بالعودة إلى الأصل التكويني الأول للصحراء، والارتباط الوثيق بينها وبين التوحيد في نصوصه الكبرى، «والذي لا شك فيه أن "إبراهيم الكوني"، كمنيف، يمتلك نصا جيدا أوصل صوت صحراء أجداده إلى الغرب، وهي تختلف عن صحراء منيف اختلافا كبيرا، فهي شديدة الشبه بأساطير التكوين حيث إنه يحكي قصة ظهورها وتكوينها، فهي عنده فضاء خاص جدا يرفض المدينة بمختلف أشكالها، يلفظها محافظا على عذرية مدينته الفاضلة الصحراء، محافظا على صفائها وطقوسها وناموسها ... فهي ترتبط بالمقدس الأسطوري الخاص بمنطقة ثقافية شديدة الخصوصية في المجتمع الإنساني، هي منطقة الطوارق»[40].

تعتبر الصحراء مكانا ضائعا يرتبط بالأبعاد الغيبية، والتي تجعل من الكائنات أشباحا، ولا تؤسس لحق الإنسان في المكوث، وهنا "الكوني" لا يتحدث عن تلك الصحراء الموجودة في الواقع، وإنّما يتحدث عن الصحراء المفقودة التي تعشش صورها في ظلال الروح، فالصحراء هنا طيفية/ اِستعارية يصنعها التخييل، ولهذا «الإنسان عدوس سُّرى يتأرجح بين فردوسين: فردوس منه طريد، وفردوس له مريد! والفردوس لهذا السبب ليس قدر عدوس السرى وحسب، ولكنّه لعنة عدوس السرى.»[41]

وتعد الصحراء فضاء طيفيا ترتسم من خلاله معالم حياة برزخية تحياها الأرواح، والتي هي خلاف الحياة الدنيوية المرتبطة بالمشهود، فالحياة في الصحراء هي أشبه بالحياة البرزخية/ ما بعد الموت/ الغيب (البرزخ)، والتي لا يمكن إدراكها أو ضبطها في المكان، فهي بين المكان وظل المكان من حيث هي عالم غيبي تسكنه الأرواح/

الأطياف، فالبرزخ كما هو معلوم، هو الحدّ بين الحياة والموت، ففي روايته "من أنت أيها الملاك؟" يحكي لنا "الكوني" كيف أنّ شخص "مسّي" رأى لوحة على جدار أحد الأبنية فسأل عنها، ثم أجابه الرجل فقال: تسمى البرزخ، وهنا يقول الراوي:[42]

"– ويبدو أن الرجل لاحظ دهشته فابتسم بغموض قبل أن يقول:

– هؤلاء هم الأطفال الذين لم يكن لهم نصيب من اِسم!

– قال الرجل بذات النبرة الغريبة في الصوت:

البرزخ هو اسم هذه اللوحة!".

وبهذا نجد أنّ الصحراء هي قدر من لا اِسم له، فهذه اللوحة هي شبح للأصل، وهو طيف /جسد الصحراء، ولكن يخيّم عليها سراب لا منته، ومرسوم عليها مخلوقات ضعيفة، وهم أطفال لم يكن لهم اِسم؛ هذه المخلوقات تعاني العجز، والاغتراب داخل الفراغ الذي هو شبيه بفراغ الصحراء، ولهذا كانت برزخا لحياة أخرى، حيث عين على الدنيا، وأخرى على الآخرة، وهنا يقول الراوي:[43]

"ولم يتخيل "مسّي" أن يكون ذلك الباب الموحش فاصلا بين عالمين، كأنه البرزخ الذي يتحدث عنه دراويش الطريقة القادرية فيقولون إنه يقف حدا بين الحياة والموت، أو هو الأعراف التي يتحدث عنها الكتاب الكريم فيقول إنها القنطرة التي على الروح أن تتطهّر في رحابها قبل أن تعبر إلى الفردوس؛ لأن الباب انفتح على ممرّ مضاء إضاءة كاشفة كأنّها عين الشمس في ظهيرة عارية من السحب، ... إلى حد أحس فيه بعطرها يغزو أنفه..".

يرتبط البرزخ في المخيال الإسلامي، والإنساني بحياة أهل القبور الذين يعيشون حياتهم إما شقاء وإما نعيما، أو ينتظرون المصير المجهول، والمحتوم إما السّعادة التي

تمثلها الجنّة كخير أسمى، وإما الشّقاء الذي تمثّله النّار كمصير ممقوت، وشّر أعظم، ومن ثمّة، فالتأويل/ التفكّر في الحياة عند أهل الصحراء هو بمثابة بحث عن المخفي في حياة الإنسان، لأنّ هذا الأخير رهين وحش قاتل هو القدر؛ إذ «في البرزخ ينشب الخصام. في هذا البرزخ تضطرب العلاقة لتتحوّل مرضا، لأنّ المكان بمفهوم الوطن يغدو قدرا. يغدو قدرا ليحطّم فينا إرادة لا طاقة لنا في مواجهتها وهي: الحنين إلى .. الحرية!»[44].

وعليه، الصحراء موطن من لا يرتضي وطنا لأنّها تشجع على الرحلة نظرا لأنّ هذا الوطن يطرد قاطنيه نتيجة الظروف القاسية، والمتمثلة في العوز والفاقة، كما أنّ الصحراء ليست بواقع أرضي بسبب غياب عنصر مهم لتحديد مميزات الأرض، وهو الماء، وإن كانت الصحراء حبلى بالماء، فهو غير يسير الحضور لأنّه هو الآخر مرتبط بالرحلة، فالأرض بلا ماء لا كينونة فيها في قوله تعالى: «اعلمُوا أنّ اللهَ يُحيي الأرضَ بعدَ موتهَا قد بيّنَا لكم الآياتِ لعلكُم تَعقلُونَ»[45]؛ إذ من شروط المكان حضور الماء، فالمكان يتم تأثيثه بحضور الماء، ولذلك فالماء هو المكان والمكوث، و«هذا الوضع يترجم مفارقة مفادها أن مريد الترحال، الذي يؤكّد بترحاله حضورا في الطبيعة، هو في الواقع طريد هذه المعبودة أيضا، لأنها بخلت عليه بأكثر عناصرها ضرورة للحياة لتدفع به إلى المنفى من حيث نفى نفسه عن هذا العالم بخياره الاستجارة بها»[46].

وفي الكثير من رواياته لا يحدد "الكوني" أمكنة بعينها، ولا يسمي أمكنة بأسمائها، حيث تبقى الأمكنة مبهمة وملتبسة خارج الصحراء في التلال التي تقف حاجزا أمام الهوية، والذاكرة، والمصير، وفي حوار "مسي" مع الرجل، "حدّق الرجل به باستهانة. قال ساخرا:[47]

"– لا أحسبك سقطت على هذه الديار من السماء !

– أعني أن الصحراء التي جئت منها جزء لا يتجزأ من هذا الوطن، علاوة على أنّها لم تكن يوما مكانا ككلّ مكان".

فالصحراء هي المكان الذي لا يهب هيئة الاستقرار، ويحث على السفر خارج الحدود نظرا لتعدده وتشظيه، وهذا التشظي يدفع إلى الرحلة، ومن ثمّة «عندما المكان يتعدد، يختلف، يتفرّع، يدور، يستطيل، يصبح مكانا للسفر. تلك تجربة الجسد مع المكان»[48].

كما تتوالى الدراسات على أنّ أصل الكائن البشري هو إفريقيا بما هي وطن الإنسان الأول، وهنا «ليس إفريقيا الاستوائية يقينا، ولكن وطن الإنسان الأول هو شمال هذه القارة تحديدا. وهو ما لم تبرهن عليه الاكتشافات الأركيولوجية وحدها، ولكن برهن عليه المنطق أيضا»[49]، فالصحراء هي عدم /شتات /موطن قاس بقساوة طبيعته، ولهذا اِختار الولد "يوجرتن" الحياة في المدينة باسم مفترض بدل العيش في العدم الذي تمثله الصحراء، وهنا يقول الراوي:[50]

"دامت وقفتهما طويلا قبل أن يتنازل الابن ليجيب الأب:

– أن أحيا في المدينة باسم مفترض أهون عندي من أن أحيا في هذا العدم باسم مكتسب!".

ولا ضير أن يجمع "الكوني" في تخييله حول الصحراء مواضيع الشعر الجاهلي، والأساطير، والمرويات مثل كليلة ودمنة، وحكايات الجن، والكاتب ينطلق من الواقع في نسج خيوط نصه، ولكنه لا يقف عند حدوده بل يتجاوز معطياته، ويعيد تشكيلها، وكل هذا بالاعتماد على الخيال كونه نشاطا خلاقا لا نسخا لعالم الواقع، وذلك أنّ العمل

الفني في النسق السردي بما يقدمه لنا من صور، ومشاهد يتيح للذات فرصة الارتقاء بذاتها، وبناء ذات بديلة؛ إذ هناك شرخ قائم بين الماضي والحاضر، فهذا الأخير مثقل بالماضي، كيف لا؛ ولعل ما تعنيه الصحراء في لغة التكوين هو العراء، فهذا الوسم مخالف للحدود، ولذلك «فعالم اليوم لا يتخيّل أنّ كلمة إفريقيا (Africa) مستعارة من لغة التكوين بمعنى الصحراء أيضا، حيث تجري على لسان أهل المكان (طوارق الصحراء الكبرى كما ينعتون في أدبيات اليوم) بهذه الدلالة المشتقة من كلمة "أفرا"Afra، الدالة على العراء»[51].

3- إجمالا: تحاول الذات الطارقية أن تروي قصتها بالاعتماد على الأبعاد الرمزية والسردية للصحراء، هذه القصة تخضع للتعديل بالاستناد إلى سرديات سابقة، فتاريخ اِثنية ما يخضع لمراجعات نقدية، حيث يعود كل راو إلى تفسيرات أسلافه في رؤيتهم للأماكن المتخيّلة. وانطلاقا من هذا تلجأ الاثنيات إلى التعريف بذاتها ضمن المحيط الذي تسكنه، والتي تعمل على تمثيله عبر القصص التي تحكيها، ولهذا تتدرج نصوص "الكوني" الروائية ضمن سردية تأسيسية، تكون مشتركا إنسانيا للأقليات الطارقية التي تجعل من الصحراء وطنا، فالهوية السردية ترسم صورتها الذاتية التي هي جزء من الهوية الطارقية.

الهوامش والإحالات.

[1]- عبد السلام بنعبد العالي: الأدب والميتافيزيقا – دراسات في أعمال عبد الفتاح كيليطو- نقلها إلى الفرنسية: كمال التومي، دار توبقال، المغرب، ط1، 2009، ص 13.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 9، 10.

[3]- ولكن من جانب المتخيل نلاحظ أنه يعيد تشكيل بنى الواقع، أي إعادة صياغته وتشكيله وبهذا، فإن المتخيل يأخذ من الواقع مادة قبل أن يأخذ منه صورة وشكلا. والمتخيل من جهة أخرى يمثل جانبا من جوانب الواقع وأحد مكوناته. فالمتخيل على الرغم من كونه مكونا من مكونات الواقع فهو يؤثر فيه ويحدث خلخلة في بنياته.

حسين خمري: فضاء المتخيل – مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص 54.

[4]- المرجع نفسه، ص 44.

[5]- الغرابة تتم كما يقول "ابن رشد" معلقا على فن الشعر "باخراج القول غير مخرج العادة".

يُنظر: عبد الفتاح كيليطو: الأدب والغرابة – دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال، المغرب، ط3، 2006، ص ص 66، 67.

[6]- عبد السلام بنعبد العالي: الأدب والميتافيزيقا – دراسات في أعمال عبد الفتاح كيليطو- نقلها إلى الفرنسية: كمال التومي، ص 14.

[7]- عبد القادر بن سالم: بنية الحكاية – في النص الروائي المغاربي الجديد- ، ص 149.

[8]- إبراهيم الكوني: أهل السرى، ص 75.

[9]- عبد القادر بن سالم: بنية الحكاية – في الخطاب الروائي المغاربي الجديد- ، ص 27.

[10]- لا يعتبر المكان عاملا طارئا في حياة الإنسان، إنّما هو معطى سيميولوجي لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي، بل يتغلغل عميقا في الكائن الإنساني، حافرا أخاديد غائرة في مستويات الذات المختلفة، ليصبح جزءا صميميا منها؛ ذلك أن المكان هو الفسحة، أو الحيز الذي يحتضن عمليات التفاعل بين الأنا والعالم، من خلاله نتكلم، وعبره نرى العالم ونحكم على الآخر.

المرجع نفسه، ص 113.

[11]- إبراهيم الكوني: أهل السرى، ص 77.

[12]- المرجع نفسه، ص 101.

[13]- وليد بن حمد الذهلي: جمالية الصحراء في الرواية العربية – إبراهيم الكوني أنموذجا، دار جرير للنشر، الأردن، ط1، 2013، ص 14.

[14]– حسن المودن: الرواية والتحليل النصي – قراءة من منظور التحليل النفسي، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009، ص 67.

[15] – إبراهيم الكوني: عدوس السرى– روح أمم في نزيف ذاكرة–ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2012، ص 32.

[16]– ولكن الأسطوري والحلمي يشتركان، حتى إذا لم يتطابقا في بنية المعنى المزدوج هذه؛ والحلم بوصفه مشهدا ليليا غير معروف لنا؛ ولا نبلغه إلا بسرد المستيقظ؛ وهذا السرد هو الذي يفسره المحلل النفسي؛ وإليه يعود أمر مفاده أن ينيب مناب هذا السرد نصا آخر هو في نظره فكرة الرغبة؛ ... وهذا المشكل سيشغلنا طويلا، أن الحلم قريب من اللغة في ذاته، لأنّه يمكن أن يروى ويحلل ويفسر.

يُنظر: بول ريكور: في التفسير – محاولة في فرويد، ترجمة: وجيه أسعد، ص 23.

[17]– إبراهيم الكوني: من أنت أيها الملاك؟، ص 38.

[18]– محمد معتصم: المتخيل المختلف – دراسات تأويلية في الرواية العربية المعاصرة–، ص 59.

[19]– إبراهيم الكوني: من أنت أيها الملاك؟، ص 36.

[20]– إبراهيم الكوني: عدوس السرى – روح أمم في نزيف ذاكرة، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2013، ص 191.

[21]– إبراهيم الكوني: عُدوس السرى – روح أمم في نزيف ذاكرة– ج1، ص 115.

[22]– إبراهيم الكوني: من أنت أيها الملاك؟، ص ص 36، 37.

[23]– أحمد بوحسن: في المناهج النقدية المعاصرة، ص 133.

[24]– محمد معتصم: سؤال المصير في خضم التحول – تنوع المحكيات، ضمن كتاب: المحكي الروائي العربي – أسئلة الذات والمجتمع– تقديم: سعيد يقطين، تحت إشراف: منى بشلم، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص 188.

[25]– إبراهيم الكوني: صحرائي الكبرى: نصوص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1998، ص ص، 10، 11.

[26]– اللغة ليست مجرد أداة للتعبير عن المعرفة، بل هي في الأساس أداة التعبير الوحيدة على العالم والذات، وهي من ثم أهم أدوات الإنسان في اِمتلاك هذا العالم والتعامل معه.

نصر حامد أبوزيد: النص، والسلطة، والحقيقة – إرادة المعرفة وإرادة الحقيقة–ص 189.

[27]- هانز جورج غادامير: تجلي الجميل ومقالات أخرى، ترجمة ودراسة وشرح: سعيد توفيق، تحرير: روبرت برناسكوني، ص32.

[28]- وحيد بن بوعزيز: حدود التأويل – قراءة في مشروع أمبيرتو إيكو النقدي- ص 152.

[29]- مطاع الصفدي: استراتيجية التسمية – في نظام الأنظمة المعرفية- منشورات مركز الانماء القومي، ط1، 1986، ص 34.

[30]- بول ريكور: من النص إلى الفعل، ص 183.

[31]- وحيد بن بوعزيز: حدود التأويل قراءة في مشروع أمبيرتو إيكو النقدي، ص 270.

[32]- إبراهيم الكوني: أهل السرى، ص 10.

[33]- إبراهيم الكوني: معزوفة الأوتار المزمومة، ص 68.

[34]- إبراهيم الكوني: فتنة الزؤان، ص 123.

[35]- محمد شوقي الزين: الازاحة والاحتمال، ص 275.

[36]- إبراهيم الكوني: واو الصغرى، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والاعلام، ليبيا، ط3، 2007، ص 8.

[37]- إبراهيم الكوني: فتنة الزؤان، ص 122.

[38]- إبراهيم الكوني: من أنت أيها الملاك؟، ص 20.

[39]- وردة معلم: متخيل الفضاء في روايات إبراهيم الكوني، الوسام العربي للنشر، بيروت، ط1، 2016، ص 53.

[40]- المرجع نفسه، ص 59.

[41]- إبراهيم الكوني: عدوس السرى – روح أمم في نزيف ذاكرة- ج2، ص 15.

[42]- إبراهيم الكوني: من أنت أيها الملاك؟، ص 72.

[43]- يُنظر: المرجع نفسه، ص 69.

[44]- إبراهيم الكوني: أهل السرى، ص 62.

[45]- سورة الحديد، "الآية: 17".

[46]- إبراهيم الكوني: أهل السرى، ص 10.

[47]- إبراهيم الكوني: من أنت أيها الملاك؟، ص 97.

[48]- محمد بنيس: كلام الجسد، ص 95.

[49]– إبراهيم الكوني: أهل السرى، ص 65.

[50]– إبراهيم الكوني: من أنت أيها الملاك؟، ص 153.

[51]– إبراهيم الكوني: أهل السرى، ص 67.